أقصوصتان ايطاليتان

LA LICENZA

STEFANO TERRA

الإجازة

كان ليوبولدو كريبا الضابط بمرتبة كابتن فى فرقة المشاة راقداً ينتظر هبوب نسيم المساء كى يستطيع القيام بالسير دائراً خمس مرات حول حواجز المعتقل ، مما يساعده على النوم ، وإذا به يرى أمامه الجندى جوفانى جاربرولو القائم على خدمته .

قال الجندى فى صوت سريع : إنى أثبت حضورى يا سيدى الكابتن . وأخذ الضابط يجلس على سريره الصغير وقد تأثر بذلك الصوت المرتفع الخشن ، ثم أخذ ينظر فى هدوء فاحصاً الجندى ، فاذا به واقف وقفة الانتظار منتصب القامة ، وهو أمر غريب فى هذا المعتقل النائى ببلاد الهند . وجال بخاطره أن الجندى يريد المزاح ، وهمَّ بأن يطلب منه أن يدع المزاح جانباً ، عندما رأى جوفانى جاربرولو يكرر ، دون أن يتحرك عن موقف الانتظار ، وهو رافع الرأس ، والعينان محدقتان إلى الأمام ، وهو يقول : « إنى أثبت حضورى يا سيدى الكابتن » .

كان الصوت فى هذه المرة أكثر ارتفاعاً ، وأعمق منه فى المرة السابقة ، وقد ذكره بأنشودة قديمة كان ينشدها الجنود ، ولكن لم يعد أحد ينشدها منذ سنوات ، وانشغل خاطر الضابط فوقف وهو يفرك عينيه المتعبتين من الضوء الذى كان ينفذ من بين قماش الخيمة الملتهب من أشعة الشمس ، وظل الجندى واقفاً دون أن يتحرك وذراعاه الطويلتان ممدودتان إلى جانب سرواله وهو من قماش لا يعرف نوعه ، وقد ضم قدميه فى حذائهما الذى قدمته السلطات ،

---

* هاتان الأقصوصتان كتبتا خاصة لمجلة « الكاتب المصرى » .

وربت الضابط على كتفه بحركة أبوية وتحدث إليه فى لهجة عامية قائلا : «جوفانين ما شكايتك تحدث ! جوفانين لا تقف هكذا جامداً فان ذلك متعب لك . إن الأكل الذى يعطيه لنا هؤلاء الانجليز . . . » ولكنه لم ينه عبارته ، فقد شعر بانقباض فى قلبه عندما رأى عن كثب عينى الجندى جوفانى جار برولو الجامدتين ، ففيهما ذلك الضوء اللامع نفسه ، وذلك الانحدار نفسه ، الذى كان يبدو فى أعين أولئك الجنود الآخرين الذين أصيبوا بالجنون فى هذه الشهور الطويلة ، فى ذلك المعتقل للأسرى السحيق ، فى تلك الجهة النائية من قلب الهند ، وود لو استطاع أن يضمه بقوة ليحميه من ذلك الضوء الذى نفذ إلى عينيه ، والذى يؤثر الآن فى قلبه ، ولكنه لم يستطع إلا أن يقول فى صوت أجش : «جوفانين ! لتكن قويا ! إن الحرب قد انتهت ، وسنذهب إلى تورينو وأن والدتك ... » ولم يعرف كيف يتم العبارة ، وعلى وجه الجندى الجامد بدأت الدموع تتناثر فى حين أخذ فجأة يغنى فى صوت حزين :

إنى أثبت حضورى أيها الكابتن
إنى أثبت حضورى
إنى أثبت حضورى
إذ أريد الذهاب فى إجازة
إذ أريد الذهاب

أخذ الضابط وجه الجندى بين يديه وقبله على خديه كما يقبل أخاً ، وحاول أن يحمله على النظر فى عينيه ، ولكن جوفانى جفل فجأة كما يجفل الجواد العصبى ، ودار على نفسه دورة عسكرية ، وأخذ يمشى بتلك المشية التى يسير بها الجنود قاصدين الباب عندما يسمح لهم بالانطلاق والخروج .

وبعد تردد لحظات اندفع الضابط إلى خارج الخيمة ، ولم يكن قد تقرر لديه هل يجرى ليدعو أحداً من المستشفى الانجليزى البعيد ، حيث يعمل أيضاً بعض الأطباء من فرقته ، أو يجرى وراء الجندى الذى سار قاصداً الحواجز فى نهاية المعتقل . على أنه أخذ يصيح منادياً : جوفانين ! جوفانين ! لكى يكتسب بعض الوقت ، ولكن الجندى لم يهدئ من مشيته . وفكر الضابط فجأة أنه من

الواجب وقف الجندى بأى ثمن قبل أن يصل إلى الحواجز ؛ لأنه إذا وصل إلى تلك الأسلاك الشائكة التى تحد من المعتقل ، فان الحارس الهندى بعد صيحة إنذار غريبة ، سيستعمل سلاحه « كما تقضى الأوامر » وهذا ما حدث فى مرات سابقة .

وبلغ إلى جانب الجندى وحاول أن يقبض على ذراعه وأمسك بيده لكى يحول بينه وبين المضى ، ولكن الجندى وقد تملكته قوة عجيبة ، تابع السير دون أن يسمع كلمة من ضابطه . وكان كلام هذا الضابط توسلات سريعة وحزينة كلما زادا اقتراباً من الأسلاك .

وعلى بعد نحو عشرة أمتار من البرج الذى يقف فيه الحارس أخذ الضابط وقد تملكه اليأس يصيح لكى يلفت نظر الجندى الهندى ، وكان يردد الكلمة الوحيدة التى يعرفها بالانجليزية « صديق ! صديق ! » ولكن الهندى قام من جلسته وبندقيته فى يده وأخذ يتبع بنظره الأسير الايطالى الذى كان يسرع الخطى نحو موقفه . وجلس الضابط فى يأس على الرمال وهو يتابع بعينيه حركات الحارس الذى كان يسند طرف البندقية القصيرة فى حركة بطيئة إلى كتفه ويسدد فوهتها وهو يتبع الخطوات الأخيرة لجوفانين تحت برجه . وفكر الضابط « فى هذه المرة سيقتلون حتى بغير أن ينذروا » ، ورفع بغريزته يديه إلى عينيه .

كان قلب الضابط ينبض بسرعة ولكن لم يقطعه صوت طلقة الهندى . ربما لم تمر عليه غير ثوان قليلة ثم فتح عينيه ولكن لم ير الجندى لأول وهلة ، وبدا لخاطره أنه استطاع أن يقفز بمرونة الغزال الشريد . ولكنه عاد يطيل النظر فاذا به يرى الهندى يسير فوق الرصيف المرتفع ، ولم يتبين له لماذا ظل الأسير مطلقاً كما يقول الحربيون . وجال بخاطر الضابط أنه ربما بدا له أن يطعنه بسلاحه ، وأخذ يحاول لفت نظر الهندى بالصياح ولكنه كان متأخراً لأن جوفانين هرع إلى رصيف الهندى فاذا كان أمامه وقف ورأسه مرتد إلى الخلف .

لم يكن من السهل على الضابط أن يتتبع ما هو حادث فى ذلك البرج ؛ فقد كانت الشمس الغاربة ترمى شعاعها على عينيه فتمتلئ العينان بالدموع لانعكاس الأشعة الحمراء . ثم ما كان أشد دهشته إذ كان يرى كلاماً يدور بالاشارات بين الحارس القابض على سلاحه بيده وبين ذلك الجندى الأسير ، وأخذ يسائل نفسه : «ولكن بأية لغة يتفاهم الاثنان ؟ » وذلك ليطمئن نفسه على أن الخطر

قد تباعد ، ومع ذلك رآهما وقد تقدما معاً كأنهما يجدان زغبة فى هذا الحديث .

وأخيراً غابت الشمس فى سرعة فيما وراء غابة قريبة . واستطاع الضابط أن يشهد الرجلين على الرصيف وكأنهما قد جلسا القرفصاء . وأخرج جوفانين من محفظة أوراقه بعض الصور الفوتوغرافية ، وأخذ الهندى يحدق فيها باهتمام وعطف . ومر ليوبولدو كريبا بيده على جبهته عدة مرات وقرر أن يذهب ويضع رأسه تحت نافورة الماء فى المعتقل .

وفى هذه الليلة لم يقم بدوراته الخمس التى اعتادها حول المعتقل ؛ فقد فقد كان متعباً . وعندما عزم على النوم رأى الجندى جوفانى جار برولو يدخل إلى خيمته وعلى وجهه تلك الروح العادية المرحة .

سأله الضابط : كيف حالك يا جوفانين ؟

أجاب الجندى : « لقد كنت أشعر بتعب شديد فى رأسى بعد ظهر هذا اليوم . » ثم أضاف قبل أن يخرج : « جئت فقط لأرجو لك ليلة سعيدة يا سيدى الضابط » .

ستفانو ترّا

LA FERITA NEL VENTRE

STEFANO TERRA

الجرح فى البطن

أصيب الجندى فاسكو دلاتورى بجرح فى بطنه ، فأطلق لنفسه وقتاً قليلا عنان الشكوى والحنين إلى أسرته ، وهى تعلته لنسيان هذا الجرح . ولكنه نظر أخيراً إلى ثيابه العسكرية وقد تمزقت فيما تحت قلبه بقبضة يد ، فتذكر أنه كلما تنفس خرج الدم منه إلى الخارج فيصبغ ثيابه الرمادية المخضرة ويجعل لونها كلون الجلد . فمد يده عندئذ ، ولمس تلك الثياب الممزقة الدامية ، وتأكد مما وقع له ، فشعر بعرق بارد يتصبب عليه كما حدث له وهو طفل ، حينما أمضى ليلة تحت وطأة حمى شديدة ؛ ثم كان لديه الوقت لينظر إلى الجهة التى اختفى فيها ضابطه ، ثم أدركه الموت .

تذكر هو نفسه هذه الوقائع لأنه وجد نفسه فجأة فى مركز الشخص المنحنى على جسد نفسه ، فاذا رأى عينيه الشاخصتين شعر بتأثر لذلك دون أن يجهش بالبكاء ، وشعر بأن أحزانه اليائسة تتردد وتذهب كما يذهب صدى الصوت فى تلك الغرف التى لا نهاية لها والتى تذكرها الأساطير . فظل طويلا يشعر بالشفقة على جثته الملقاة . أما الألم الذى شعر به وأدى به إلى الموت ، فقد تضاءل كثيراً ؛ وود لو يستطيع قطع يديه اللتين مرتا على الجرح بدافع حركة أخيرة عصبية . وما لبث أن فهم أنه انفصل عن هذا الجسد كما يطير اليراع الأزرق فى ظلمة الليل . ولم يبق من ذلك الذى كان حيا غير طعم مشروب الكونياك ، ولكن ربما كان ذلك مجرد رائحة ، فلقد شرب منه كثيراً قبل ساعات ، وكان الفم لا يزال فاغراً . ولم يأت الليل فلقد كان الضوء الأول ذا لون رمادى كأنه انعكاس للثلوج . وصار كل مايهمه هو الخوف من أن يفقد نفسه تدريجيا وجسمه ممدد متصلب ، قبل أن يأخذ فى الانحلال . وبقى فى هذا الانتظار الغريب وهو يستطيع أن يتذكر أشياء . ولكن لكى يفعل يجب أن يتمسك طويلا بجزء من جسمه . ولكن هذا العمل كان يتطلب تعباً ومجهوداً مضنياً وضائعاً . ولقد ساعدته يداه بأن يتذكر قصصاً من سنوات حياته الماضية ، فلم يعد يفهم لماذا تأخر هكذا طويلا فى أن يتصل بامرأة . ولقد استطاع بقدميه أن يرى كما يرى الجنى الصغير ، شوارع كبيرة وسلالم وأرصفة ، وما فى منزله من أثاث مترب .

وأخيراً بقى كعين سحرية فوق جسده ، عين ضعيفة كأنها تفقد قوتها كلما زادت جثته تحللا . على أنه استطاع أن يتذكر طويلا منظراً تشبث به كأنه يدافع عن نفسه : فلقد سقط ثلج كثير ، وكان هو بجرحه فى البطن ممدداً ، وعيناه مفتوحتان وثوبه العسكرى الملطخ بالدم ملقى كأنه رجل متعب فى نوم عميق . ولكنه إذا كان قد صار لا يشعر باختلاف الليل والنهار فانه شعر بشمس ذلك الربيع التى كانت تأبى أن تبقى على بقاياه . وإذا الأمور تظهر فجأة كأنها مهزلة فظيعة وقد انفرجت شفتاه . وفى الضوء بدت عليهما ابتسامة كبيرة إلى أن تحولتا إلى قطعتين من اللحم الكريه بفعل الذباب ثم الديدان ، التى هربت بعد قليل بسقوط الأمطار .

ومع ذلك كان لايزال يتملكه الخوف خشية أن يفقد نفسه . وكان خوفاً وحيداً

ضيقاً عندما يرى تلك الألوان الغريبة التى أخذ يتلون بها جسده . وانتظر أن يزول عند أول هبوب ريح قوية كتلك الأزهار التى يسميها الأطفال بالزعفران، وفى كل هذه الأحداث كان يرى أخيراً ذلك الجرح التى لم تعد اليدان المتيبستان تلمسه ، وكان ذلك نهاية الجرح الذى نشأ عن قنبلة يدوية ، واستطاع أن يتذكر أنه فى وقت ما عثر على شظية من هذا النوع ووضعها فى حافظة أوراقه على سبيل التذكار .

وأخيراً ظهر فى هذا الجزء النائى من الجبل رجال يحملون فؤوساً ومطارق ونقالات . وتقدم إليه أحد هؤلاء الرجال وبحث فى سترته وأخرج منها حافظة الأوراق التى بدت له أنها مليئة . وجاء ضابط لفتحها وظل ينظر طويلا فى صورة خطيبته . وكانت رؤيته تتضاءل ، وأخذ يشعر بتعب شديد كالذى يأخذ الحارس الذى ينتظر بعد وقت طويل تغير الحراسة . وفى هذه المرة فقد وعيه دون أن يشعر بأى ألم ، ولكنه كان يسمع فقط وقع أول حفنة من التراب .

ستفانو تزّا

نقلها عن الايطالية ح. م.